لابد من تحديث المؤسسات فى إطار الثورة المعرفية

عائشة المراغى

استضاف المجلس الأعلى للثقافة الأسبوع الماضى، على مدار ثلاثة أيام، المؤتمر الدولى «التنمية الثقافية المستدامة وبناء الإنسان»، بمشاركة ما يزيد على مائة باحث وأكاديمى من مختلف دول الوطن العربى وخارجه.

افتتحت د.إيناس عبد الدايم، وزيرة الثقافة، فعاليات المؤتمر، الذى ترأسه د.سعيد المصرى الأمين العام للمجلس، وأكّدت فى كلمتها أن الوزارة لا تدخر جهدا فى سبيل تنمية وتدعيم الصناعات الثقافية-للنهوض بحركة النشر والموسيقى والسينما والمسرح والفنون التشكيلية والصناعات التراثية، إلى جانب العمل على تطوير وتحديث المؤسسات الثقافية لكى تواكب العصر وتكون قادرة على تحقيق الغاية فى بناء الإنسان وتحقيق التنمية الثقافية المستدامة.

فيما ألقى السياسى اللبنانى د.على أحمد بزى كلمة الباحثين المشاركين، مشيرًا إلى أن الأرض لها ثقافتان هما المعرفة والتطرف، لكن الكثير من المجتمعات بالمنطقة - للأسف - وقعت ضحية للتطرف، الذى يكبّل الإنسان ويضع حدودًا تفصله عن الآخر، لذا فإن الحل يكمن فى المعرفة لمحو تلك الآفات.

وفى النصف الأخير من الجلسة الافتتاحية، ألقى د.إسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية السابق، محاضرة أشار فيها إلى أربع قضايا يجب التركيز عليها عند الحديث عن التنمية، هى: الإنسان والهُوية والمشاركة وبناء الثقافة، التنمية الثقافية فى إطار الثورة المعرفية الجديدة، حرية التعبير التى تعَد بمثابة حجر الأساس لأى عمل سياسى أو ثقافى، بالإضافة إلى قضية بناء الإنسان التى تبدأ من الأسرة والمدرسة، مؤكدًا على ضرورة وجود تغييرات جذرية فى العملية التعليمية.

بناء الإنسان سبيل لتنمية المجتمع

تضمّن المؤتمر ثمانية عشر محورًا، غطّت العديد من القضايا المتعلقة بمفاهيم التنمية الثقافية المستدامة وبناء الإنسان، وجدليات العلاقة بين الثقافة والتنمية وحدودها وتحدياتها، خاصة فى الأقطار العربية والأفريقية، كالورقة التى قدّمها إبراهيم برمة أحمد حول «معوقات التنمية الثقافية فى دول الساحل» واتخذ فيها من تشاد نموذجًا، التى تعانى من النمو السكانى الذى يؤدى لإهدار جهود التنمية المستدامة، فى ظل محدودية الموارد البيئية، مما نتج عنه انتشار التلوث والأمراض، الذى أدى بدوره إلى عديد من الآثار السلبية على الوضع الصحى والتنموى للسكان، ومن ثم إنتاجيتهم.

كما غطّى النقاش قضايا متعددة فى إطار علاقة التنمية الثقافية المستدامة بالقيم الاجتماعية والتطرف والتعصب، والصناعات الثقافية والإبداعية والتراث الثقافى والمؤسسات الثقافية، حيث حدّد محمد العلالى فى دراسته حول «الصناعات الإبداعية وتحديات التنمية بالمنطقة العربية» عشرة نقاط تمثل مجالات التحدى فى وجه تنمية تلك الصناعات، تتلخص فى الرؤية، الاقتصاد، التكامل الفعال، حرية الفكر والإبداع والتطوير، الثقافة، التأهيل القانونى، التكنولوجيا، تطوير المحتوى، الدعم، التكوين والعلم والبحث والمعرفة، واجتذاب الكفاءات. وخلص إلى أن بلوغ أهداف التنمية المستدامة يتطلب بذل جهود استثنائية فى الإنسان من خلال تنمية التعليم والتكوين والبحث والتطوير والعلم والمعرفة وتقنيات الاتصال، حيث تمكنت بلدان مثل كوريا الجنوبية وماليزيا وسنغافورة خلال عقود قليلة أن تتحول من مجتمعات زراعية إلى دول منتجة للصناعات الإبداعية فى شتى أشكالها تتبوأ مكانة متقدمة فى مؤشرات التنمية على صعيد كونى، وإن حدث ذلك فى المنطقة العربية من شأنه أن يعيد الاعتبار للتراث والثقافة والحضارة العربية فى أبعادها المستنيرة.

وخُصّصت جلسات حول إشكاليات علاقة الثقافة بالتنمية ودور المجتمع المدنى فى تطوير الثقافة المُعزّزة للتنمية، ففى ورقة بحثية شارك فى إعدادها اثنان من أساتذة الأنثروبولوجيا هما د.إيمان البسطويسى ود.محمد جلال حسين، إلى جانب أمانى الحناوى وكيل مركز رامتان الثقافى ومديرة صالون طه حسين، حول «دور المراكز الثقافية فى تحقيق التنمية الثقافية المستدامة» استعرض الباحثون أبرز التحديات التى تواجه تلك المراكز، واقترحوا عددًا من التوصيات، من أبرزها ضرور توفير الميزانية الكافية حتى يتثنى لهذه المراكز القيام بالأنشطة والفعاليات المنوطة بها على أكمل وجه، تزويدها بالوسائل والتقنيات التكنولوجية التى تحتاج إليها وتمكنها من القيام بأعمالها، تشديد المتابعة لتلك المراكز والتأكيد على اتباعهم لخطة سنوية شمولية تضمن تغطية كافة الجوانب الثقافية، تسهيل الإجراءات المتعلقة بإقامة الفعاليات التى تسعى المراكز لعقدها، وتزويد هذه المراكز بالكوادر الفنية المدرَّبة جيدًا والتى تعى طبيعة النشاط الثقافى وتسعى للعمل على تفعيل دوره فى تحقيق التنمية الثقافية.

وعن أبعاد الهُوية وبنائها وصراعاتها، تتحدّث أمل حسن أحمد فى دراستها حول «الهوية الثقافية بين التجدد والاغتراب» من خلال طرح عدة تساؤلات حول رؤى المثقفين للهوية الثقافية ومظاهر الاغتراب الثقافى ومحدداته. وفى نفس السياق، خلصت إسراء إسماعيل، فى بحثها حول «الإشكالات السياسية وبناء الهوية الوطنية» إلى أن التحدى الحقيقى فى أن يشعر المواطن أن الدولة هى من تقوم بحماية التنوع الثقافى وتحرص على احترامه لا أن تطمسه، فمن شأن هذا أن يدعم إجراءات بناء الثقة فى ظل محاولات إعادة البناء والتماسك الاجتماعى، وإلى ربط الثقافة الديمقراطية بعملية التنمية المستدامة، عبر فتح المجال لحرية التعبير والإبداع الثقافى.

كما أثيرت مناقشات جادة حول مفهوم بناء الإنسان بأبعاده المختلفة، ومشكلاته وآليات تفعيله والتحديات الاجتماعية والثقافية والسياسية المرتبطة ببناء الإنسان، فوضعت نيفين إسحاق فى ورقتها البحثية «التنمية الثقافية وبناء الإنسان» يدها على بعض المشكلات التى تواجه التنمية وإجراءات حلها، من خلال تجربة عملها كمديرة لبرنامج التنمية الثقافية فى جمعية الصعيد للتربية والتنمية، ومنها مشكلة قلة الوعى بأهمية الثقافة والفنون ودورها فى بناء الإنسان، وحل ذلك بإجراء لقاءات رفع وعى، ومشكلة عدم المعرفة والجزر المنعزلة التى تعمل بها المؤسسات العاملة بالثقافة حكومية وغير حكومية، وحددت الحل فى إجراء تشبيك بين المؤسسات العاملة بالثقافة ووضع خطط مشتركة، أما مشكلة ضعف العلاقة بين العاملين بالثقافة وأهدافهم والأطراف المعنية والأهالى والقيادات، فاقترحت إجراء لقاءات مع الأهالى وحملات مجتمعية للشراكة فى كل العمليات الثقافية.

د.سعيد المصرى، د. إيناس عبد الدايم، د.إسماعيل سراج الدين

أثناء إلقاء التوصيات فى الختام

د.على بزى:

الأرض لها ثقافتان هما المعرفة والتطرف، لكن الكثير من المجتمعات بالمنطقة - للأسف - وقعت ضحية للتطرف، الذى يكبّل الإنسان ويضع حدودًا تفصله عن الآخر، لذا فإن الحل يكمن فى المعرفة لمحو تلك الآفات.

توصيات بالتكامل ووضع الخطط

فى الختام؛ أعلن د.سعيد المصرى التوصيات التى أفضت إليها المناقشات خلال أيام المؤتمر، ومن أبرزها: ضرورة التنسيق والتكامل بين مختلف المؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية لتبادل الخبرات ووضع استراتيجيات وخطط تنموية قابلة للتنفيذ تستهدف بناء الإنسان، تعزيز مبادرات الاستدامة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وضرورة مشاركة جميع أفراد المجتمع فيها، عمل صندوق للمقترحات المبتكرة والأفكار المبدعة والاستعانة بالشباب الموهوبين والفنانين المبدعين فى هذا المجال، تعزيز الدور التربوى للأسرة والمؤسسات انطلاقا من مبدأ التنمية المستدامة للطفولة، تشجيع السياحة الثقافية باقتراح برامج سياحية تشمل زيارة مواقع الصناعات الإبداعية والثقافية ومشاهدة الفنون القائمة على التراث الثقافى واستقطاب المبدعين على مستوى العالم، ضرورة إدراج الأشغال اليدوية والصناعات الإبداعية ضمن شعب التعليم الفنى، استثمار الهيئات البحثية لإعداد البحوث الثقافية والتنموية، تعزيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص لتوفير التطوير للمؤسسات الثقافية، تزويد المراكز والجمعيات الثقافية بالوسائل والتقنيات التكنولوجية، الاستفادة من كليات الفنون الجميلة لتنشيط الصناعات البصرية، تطوير مؤشر مركب لقياس بناء الإنسان وتحقيق الاستدامة فى التنمية الثقافية ليكون أساسًا لتقييم الأداء التنموى فى تعزيز العلاقة بين الثقافة والتنمية، وعقد سلسلة من ورش العمل التى تستهدف تطوير الصناعات الثقافية وتعزيز القيم الإيجابية.